ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Prof Dr. Yousif Enad Zamil
Prof. Dr. Jameel Mohsin Mansour
University: Wasit University
College: College of Law
College of Arts

Keywords:
Social diversity , Cultural gradathon , Class.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	22 May 2022
Accepted	4 Jun 2022
Available online	1 July 2022

Social and Cultural Diversity

An Anthropological reading in the Cultural and class Hierarchy in Communities

A B S T R U C T

The concept of culture is considered inherent to the social sciences, especially in its Anthropological depth. It is necessary for human unity through diversity that is different than thinking relying on Biology. This concept seems the most compelling answers about the difference between nations. If culture is not the feeding source and the legacy from one generation to another, this will not be considered as a historic result, but it is a construction that will be registered in history's record. From the other hand and precisely, it can be listed in among the social groups history that assemble a social and cultural Hierarchy considering to the stratification that already existed in modern and ancient communities. In order to analyze a certain cultural system, we have to analyze the social historic status of the communities that resulted from this system. So, the concept of culture goes with everything that is humanitarian, and this concept afford the possibility of understanding the Human unity in his life, believes and culture diversity, and the unity of diversity. The concept of cultutre is considered as a proper tool to stop all the explanations of nature for human behavior. The human culture can be interpreted through the culture, because culture domain on the roles gender division and tasks in the human communities. As a result of the mentioned above, we can remark diversity from one community to another, instead the gradual of different social communities can be seen in different time and place considering the a social and cultural hierarchy diversity.(Cultural and Social diversity, Cultural gradation, Class)

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

التنوع الثقافي والاجتماعي
" قراءة انثروبولوجية في التدرج الثقافي و الطبقي للمجتمعات "

أ. د . يوسف عناد زامل / كلية القانون / جامعة واسط
أ. د . جميل محسن منصور/كلية الآداب / جامعة واسط

الخلاصة:

يعد مفهوم " الثقافة " ملازما للعلوم الاجتماعية ، لاسيما في عمقه الانثروبولوجي ، وهو ضروري حول وحدة البشرية من خلال التنوع بشكل يختلف عن التفكير المستند الى " البيولوجيا " ، ويبدو ان هذا المفهوم يقدم اكثر الاجوبة اقناعا على سؤال الفارق بين الشعوب ، فاذا لم تكن الثقافة معطى وميراثا ينتقل من جيل الى جيل آخر فان ذلك لا يعد نتاجا تاريخيا ، لكنه حقيقة بناء يندرج في سجل التاريخ ، وبشكل ادق يندرج في تاريخ المجموعات الاجتماعية فيما بينها التي تشكل تراتبا ثقافيا واجتماعيا وفقا للتدرج الطبقي الموجود في كل المجتمعات حديثا وقديما . ولكي يتنسى لنا تحليل منظومة ثقافية معينة ، لابد من تحليل الوضع " الاجتماعي – التاريخي " للمجتمعات الذي يتنج هذه المنظومة كما هو عليه . اذا فان مفهوم " الثقافة " لا ينطبق الا على ما هو " انساني " . وهذا المفهوم يتيح امكانية فهم وحدة الانسان في تنوع انماط حياته ومعتقداته وثقافته ، و على وحدة التنوع . اذا فان " مفهوم الثقافة " يعد اداة مناسبة لوضع حد لتفسيرات الطبيعة للتصرفات البشرية ، وطبيعة الانسان يمكن ان تفسر كلها من خلال " الثقافة " . لان الثقافة تستولي على التقسيم الجنسي للأدوار والمهام في المجتمعات البشرية ، ولهذه نراها تتنوع من مجتمع لآخر ، فضلا عن تدرج الطبقات الاجتماعية المختلفة من حيث الزمان والمكان وفق تراتب ثقافي اجتماعي متنوع .

المقدمة

تنشأ الثقافات من علاقات اجتماعية تكون دائما غير متكافئة احيانا منذ البداية ، ولكن هناك تنوع فعلي بين الثقافات ناتج عن التراتب الاجتماعي والتدرج الطبقي . والظن بعدم وجود تراتب بين الثقافات يعني افتراض انها توجد بمعزل عن بعضها البعض لا علاقة بينها، وهو امر غير واقعي. اذا كانت الثقافات كلها جديرة بالأهمية نفسها وبالاهتمام نفسه بالنسبة للباحث او المراقب فهذا لا يسمح باستنساخ ان الثقافات كلها معترف بها اجتماعيا وتنطوي على القيمة نفسها.

واحيانا تبنى وتتنوع الثقافات عن صراعات وتتطور في حالات التوتر واحيانا في حالات العنف . ومع ذلك فلا بد من الابتعاد عن التأويلات الاختزالية كتلك التي تفترض ان الأقوى يستطيع دائما فرض نظامه الثقافي ببساطة على الاضعف ، وطالما انه لا توجد مماحكات ثقافية حقيقية سوى تلك التي ينتجها الافراد او المجموعات التي تحل مواقع غير متكافئة في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي تبعا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها هؤلاء الجماعات ، فأن ثقافات مختلف المجموعات تجد نفسها الى حد ما في وضع قوة او ضعف ازاء بعضها . لكن حتى الاضعف لا يجد نفسه دائما اعزلاً تماما في اللعبة الثقافية.

الكلمات المفتاحية : التنوع الثقافي والاجتماعي بالإنكليزية " Social and Cultural diversity " وهو عبارة عن تنوع الثقافات المختلفة في كل المجتمعات (بدوي ، 1982 ، ص 124) . ويمكن ان يشير مفهوم او مصطلح " التنوع الثقافي والاجتماعي " ايضا الى وجود ثقافات مختلفة في المجتمع الواحد تظهر من خلال التدرج او التراتب الثقافي للفئات او الطبقات الاجتماعية (النوره جي ، 1990 ، ص 87) . وتستخدم ايضا عبارة او مفهوم او مصطلح " التنوع الثقافي والاجتماعي " في بعض الاحيان لتعني " تنوع المجتمعات او الثقافات البشرية في مجتمع معين " (معتوق ، 2001 ، ص 134) . فضلا عن ذلك ، يشير المفهوم الى الخصائص الديموغرافية مثل " العرق ، الجنس ، العمر ، الطبقة الاجتماعية " ، والخصائص الثقافية وهي الاكثر وضوحا والموجودة بين الناس مثل " اللغة ، اللباس ، التقليد ، القيم ، العادات ، والتقاليد " . ولا ننسى الخصائص الاخلاقية المشتركة والمعتقد الديني (ميشيل ، 1980 ، ص 130) .

نستنتج مما تقدم لمفهوم التنوع الثقافي والاجتماعي ينطوي على بعض الاختلافات في الخصائص المذكورة في اعلاه ، وهذا بحد ذاته يشكل اختلافا وتنوعا ثقافيا قد يكون ضروري وحيوي لبقاء البشرية على الامد البعيد ، ذلك البقاء يكون مهما للبشرية ويؤدي للحفاظ على ثقافة السكان الاصلية بقدر اهمية حفظ الانواع والنظم للفئات والتدرجات الثقافية والطبقات الاجتماعية في كثير من المجتمعات .

اما مفهوم التدرج الثقافي والاجتماعي Social and Stratification : انما يشير الى التدرج الثقافي والطبقي ايضا داخل المجتمع على اساس المكانة والتملك والثروة والسلطة وغيرها من المكتسبات المرتبطة بالطبقة الاجتماعية ، مثال ذلك فأن افراد الطبقة الارستقراطية يحصلون على النصيب الاوفر من الثروات ، والجانب الاكبر من المؤسسات الحاكمة ، ومنها تشكل جماعات اتخاذ القرارات الرئيسة في المجتمع واحيانا في الدولة. وهنا يتداخل " التدرج الثقافي والاجتماعي " بشكل كبير مع قضايا اخرى ، كثقافة العدالة والتي يشترط تطبيقها ان يكون الناس سواسية (الخالدي ، 2015 ، ص 87) . وهنا مما تجدر الاشارة اليه ، ان مفهوم " التدرج الثقافي والاجتماعي ، يشير الى التنمية التي هدفها في النهاية الانسان ، أيا كانت مرتبته ، وليس " الانسان الخاص " الذي يملك ، و " الانسان العام " الذي لا يملك (الجوهري ، 2010 ، 167) .

واخيرا مصطلح الطبقة الاجتماعية Social Class : فالطبقة " Class " مشتق من كلمة لاتينية ، ويقصد به " تصنيف المواطنين حسب الثروة لتحديد المكانة الاجتماعية " ، ثم بدأ حديثا يستخدم مصطلح " الطبقة " كوسيلة اساسية لتنظيم المجتمع بشكل تقسيمات هرمية ، او على شكل متدرج من الاعلى للأدنى او بشكل تراتب ثقافي او تدرج طبقي . واكثر الطبقات شيوعا اليوم هي الطبقة الارستقراطية (البرجوازية او الغنية) ، والطبقة المتوسطة ، والطبقة البروليتارية (العمالية) . اما مصطلح " الطبقة الاجتماعية " والذي عادة ما يكون مرادفا ل " طبقة اجتماعية اقتصادية " والذي يمكن تعريفه " افراد يملكون نفس الوضع الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي " ، لذا فأن مفهوم الطبقة وفقا للعالم الاقتصادي " كارل ماركس " يحدد عن طريق علاقة الفرد مع وسائل الانتاج ، لذا فقد حدد اهم الطبقات في المجتمعات لاسيما الرأسمالية كالآتي (الحسن والعطية ، 1983 ، 253) :

1. الطبقة البروليتاريا (العمالية) : وهم اولئك الذين يعملون " العمال " ولا يملكون وسائل الانتاج .
2. الطبقة الأرستقراطية (البرجوازية او الغنية) : وهم الرأسماليون الذين يملكون وسائل الانتاج .

بعد المقدمة وتوضيح المفاهيم الاساسية للبحث ، سيتناول بحثنا عن التنوع الثقافي والاجتماعي " قراءة في التدرج الثقافي والطبقي للمجتمعات ، المحاور الآتية :

اولا / الثقافة الارستقراطية والثقافة البروليتارية.

ثانيا / الثقافة المسيطرة والثقافة المسيطر عليها .

ثالثا / الثقافة الجماهيرية والثقافة الشعبية .

الخاتمة – المصادر.

اولا / الثقافة الارستقراطية والثقافة البروليتارية :

في كثير من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية هناك اشارة على ان المفهوم الارستقراطي لم يكن مفهوما موغل بالقدم ، والدليل تشير بعض القواميس " الاتنولوجية والانثروبولوجية " ان معنى ما يطلق على الثقافة الارستقراطية او ما تسمى " البرجوازية" هو حديث العهد ، وهو نقيض للثقافة البروليتاريا " العمالية " . ف " الارستقراطية " لها خصائص مماثلة خاصة لأفرادها ، حيث انهم لا يعترفون بل يرفضون ان يطلق مفهوم الارستقراطية على انفسهم ، بل هناك تصورات تعبر بها عن نفسها كالإعلام الصحفي والسينمائي والادبي ، طمعا منها بالحفاظ على تصورها الخاص عن ذواتها . فضلا عن ذلك نجد العكس حيث نادرا ما تكون الثقافة الارستقراطية ثقافة يعتز بها الفرد او يطالب بها (بياربونت ، 2006 ، ص 40) .

وقد تميزت الثقافة الارستقراطية بسمات اساسية تعبر عن ماهيتها ، من الممكن تحديدها بسمات ثلاثة وعلى الشكل الآتي (دوفرجيه ، بدون سنة طبع ، 161) :

أ. السمة الاولى : الاهتمام بالتفاصيل ، خاصة تفاصيل " الملبس " او بعض التفاصيل البسيطة التي تحدث تغيرا مهما او كبيرا .

ب. السمة الثانية : ملاحظة ومراقبة الذات التي تنتج عن التقشف والتي يعدها البعض من العلماء آنذاك من سمات " البرجوازية الرأسمالية " .

ت. السمة الثالثة : ابدال او تحويل نشاطات الحياة اليومية وممارساتها الى عادة او " طقوس " ، كطقوس الطعام او المائدة والتي شكلت لها اهمية ، مثال ذلك :

" ان وجبة الطعام التي يعيشها الارستقراطي " البرجوازي " بشكل واع على انها وقت مفضل لديو ، ومفصل من اوقات التعاون الاجتماعي او (التشارك الاجتماعي) تتركز حولها ، وتنتقل اليها سمات مجموعة العلامات المميزة للعائلة الارستقراطية " البرجوازية ".

نستنتج مما تقدم " ان تجانس عادات المجموعة او الطبقة التي تكفل تجانس الاذواق هي حتمية وتحصيل حاصل " . بمعنى آخر هو ما يجعل تفضيل الاشياء والنشاطات والممارسات محسوسة ومرئية لدى الطبقة الارستقراطية " البرجوازية " .

ولكن حسب رأي " بورديو " ان الاعتراف بتجانس العادات لدى طبقة معينة " لا يقتضي تنوع الاساليب الشخصية " ، وهذا التحليل يتضح من خلال أفكاره عندما قال : " ينبغي فهم الفروق الفردية على انها " فروق بنيوية " تتضح من خلالها فرادة الموقع من داخل الطبقة " وايضا سعى الى دراسة التنوع الثقافي والاجتماعي انثروبولوجيا ، اذ يرى ان السعي الى تبيان مفهوم " الثقافة " انما يلجا الى مصطلح او مفهوم آخر هو (الاعتياد habitus) ، ويقصد به " منظومة الاستعدادات الدائمة والقابلة للتجديد او التغيير " ، والاستعدادات المعنية هنا هي التي " تشكلت عبر مجموعة من المتماثلات او التكيفات المرتبطة بأنماط الحياة اليومية " (بينتو ، 2014 ، ص ص 55-57) . بمعنى آخر يأتي القصد بمفهوم " الاعتياد " هو ما يميز طبقة او فئة او جماعة اجتماعية ازاء " طبقات او فئات او جماعات اخرى " تتقاسم معها بعض الثوابت او السمات او الخصائص او المشتركات الاجتماعية نفسها . ومن هذا المنطلق هو يرى ان " الاعتياد " انما يقوم كما تقوم " الذاكرة الجمعية " بإعادة انتاج السابقين الى اللاحقين (توشار ، 1963 ، ص 474 .

ويتضح ايضا مما تقدم ان " الاعتياد " هو ما يسمح به للأفراد بالتوجه الى الفضاء الاجتماعي ، الذي هو فضاؤهم واعتماد ممارسات تتطابق وانتمائهم بالتراتب الثقافي والتدرج الاجتماعي والطبقي .

اما الثقافة البروليتارية " العمالية "، ان تحليل الثقافة البروليتارية " العمالية " تدين بالكثير الى اعمال " بعض المهتمين بثقافة الطبقة البروليتارية " العمالية " ، اذ يعتبرون " ان حاجات الافراد هي التي توجه ممارسة الثقافات التي تتحدد الانتاج " . وفي تحليلهم لبنى مجموعة من ميزانيات العائلات العمالية تراه يربط بين طبيعة العمل العمالي وبين اشكال الاستهلاك العمالي ، وان ادق وصف للثقافة العمالية وادق التحليلات لعلاقتها بالثقافة الأرستقراطية " البورجوازية او الغنية (المثقفة) " ، فأنها تشكل خصوصية الثقافة ، مثل تغير الشروط المادية لحياة العمال وتطور الاتصال الجماهيري. ويرى البعض الآخر من المهتمين بعلم اجتماع الطبقات " ان الشعور الذي يعاني منه المرء بانتمائه الى طائفة لها حياتها وقدرها يقود الى تقسيم ثنائي اساسي للعالم الاجتماعي الى (هم) و (نحن) " (الحسن والعطية ، 1983 ، ص 220) . ولم تعد هناك تقريبا مجموعات عمالية بالمعنى الدقيق ، متجمعة في الحي نفسه وتعيش حياة اجتماعية مكثفة مثل التجاوز وتجمع السكان كلهم في اوقات منتظمة في الاعياد الجماعية . واصبحت النزعة الخصوصية الثقافية العمالية سواء من حيث اللغة او الملبس او السكن الخ ، اقل وضوحا الا انها لم تختف تماما . " وخصخصة " اشكال الحياة العمالية تنامت مع انكفاء واضح في المجال

العائلي . لكن هذا التطور على المجالات الخاصة تضع اليوم امام المجالات الاجتماعية تنافسا اقوى . من جانب اخر، يتكون المجال العمالي الخاص وفق معايير نوعية لان الحياة اليومية تتميز بتوزع جنسي دقيق للأدوار وبشكل عام ، اذ يشير بعض الباحثين " ان التطورات الثقافية التي ترافق دخول العمال فيما اصطلح على تسمية بـ" عنصر الوفرة " يكشف عن تكييف معايير قديمة اكثر مما يكشف عن اعتماد معايير جديدة مأخوذة من الخارج " ونقلها الى الداخل (الأسود ، 1990 ، ص 485) .

ثانيا / الثقافة المسيطرة والثقافة المسيطر عليها :

في اي فضاء اجتماعي معين ، هناك دائما تدرج ثقافي . ولم يخطى بعض علماء الاقتصاد الاجتماعيين ومنهم " كارل ماركس " حينما اكدا على ان " ثقافة الطبقة المسيطرة " المهيمنة " تبقى كذلك باستمرار " ، وفي قوله هذا ، فهو لا يزعم حتما ، ان " ثقافة الطبقة المهيمنة تتمتع بنوع من التفوق الداخلي " المضمون " او حتى بقوة انتشار تكسبها من "جوهرها " الخاص والذي يجعلها تسيطر بشكل طبيعي على الثقافات الاخرى . في حين يعتقد " فيبر " ان القوة النسبية التي تتمتع بها الثقافات المختلفة في التنافس القائم بينها يرتبط مباشرة بالقوة الاجتماعية النسبية للجماعات البشرية التي تشكل حاملا لها ، ويشاركه ماركس بهذا الرأي او الاعتقاد (الخالدي ، 2015 ، ص 100) .

من هذا المنظور يتضح لنا ، ان البحث عن ثقافة مسيطرة " مهيمنة " او عن ثقافة مسيطر عليها "خاضعة " ليس بالمسار السهل ، لان ما نراه موجودا في الواقع هو عبارة عن جماعات اجتماعية بينها علاقات " هيمنة " وعلاقات " تبعية " ازاء بعضها بعضا ، وليست الثقافة المسيطر عليها " الخاضعة " بالضرورة ثقافة معتبرة وتابعة تماما. بل انها ثقافة لم تستطع عبر تطورها ، اخذ الثقافة " والعكس صحيح ايضا وان كان بدرجة اقل" بعين الاعتبار ، لكنها تستطيع الى حد ما مقاومة الفرض الثقافي المسيطر " المهمين " وعلاقات المسيطرة " الهيمنة " الثقافية .

ولكن هناك من يؤكد من بعض علماء الاجتماع بالقول " لا يمكن فهم الثقافة المسيطرة "المهيمنة " عن طريق تحليل علاقات الهيمنة الاجتماعية نفسها ، لان العلاقات القائمة بين الرموز لا تعمل وفقا للمنطق نفسه القائم بين المجموعات او الافراد ، فغالبا ما نلاحظ تغييرات بين اثار(او الاثار المضادة) الهيمنة على ثقافة مسيطر عليها " خاضعة " ، كما تفرض مجموعة نفسها على مجموعة اخرى اضعف منها ، فالسيطرة او " الهيمنة الثقافية " لا تكون ابدا شاملة ولا تتحقق بشكل نهائي ، ولذلك فهي تترافق دائما بعمل تلقيني لا تكون اثاره دائما وحيدة الجانب . وتكون هذه الاثار احيانا " اثار حضارية " مخالفة لتوقعات المسيطرين "المهيمنين " ، لان التعرض للهيمنة لا يعني دائما القبول بها ، ويعتقد " ماكس فيبر " بوجود ثلاث نماذج من السيطرة " الهيمنة " المشروعة وهي كالآتي (راينو ، 2009 ، ص ص 227 - 229) :

1. طابعا عقليا : يستند الى الاعتقاد في قانونية اعطاء الاوامر لأولئك المدعوون للممارسة السيطرة " الهيمنة " على المسيطر " المهيمن " عليهم بواسطة هذه الوسائل ، اي " السيطرة او الهيمنة القانونية " .
2. طابعا تقليديا : يرتكز على الاعتقاد اليومي في قداسة من هم مدعوون لممارسة السلطة على المسيطر " المهيمن " عليهم بواسطة هذه الوسائل " سيطرة او هيمنة تقليدية " .
3. طابعا شخصيا " كارزمي " يستند الى القيمة المثالية لشخص ما ، اي الخضوع لشيء مقدس من قبل المسيطر عليهم " سيطرة او هيمنة كارزماتية ".

يستنتج مما تقدم " ان الصرامة المنهجية تفرض دراسة ما تدين به الثقافات المسيطر عليها ، باعتبارها ثقافات مجموعات " خاضعة " ، وبالتالي تبني او تعيد بناء نفسها في وضع السيطرة عليها " الهيمنة " .

ثانيا / الثقافة الجماهيرية والثقافة الشعبية:

فقد شهد مفهوم الثقافة الجماهيرية نجاحا كبيرا في فترة الستينات والسبب في هذا يعود جزئيا الى عدم دقته الدلالية والى الخلط بين مصطلحي " الثقافة والجماهير " من وجهة نظر التقاليد ذات النزعة الانسانية ومن المدهش استخدام هذا المفهوم لدعم تحليلات واضحة الاختلاف (ابراهيم ،2009 ، 21) . والواقع ان مفهوم الجماهير يعاني من عدم الدقة لان كلمة جماهير تعود تبعا لبعض التحليلات تارة ، والى مجموع السكان وطورا الى المكون الشعبي لأولئك السكان وقد ذهب الامر ببعض من تصدى لهذا المكون الى حد ادانة ما يظنون تارة اخرى (البدو ، 2008 ، 23) . وهذه الاستنتاجات تنطوي على خطأ مزدوج لان هناك خلطا بين " ثقافة من اجل الجماهير " وبين " ثقافة الجماهير " (اذ ليس كل كتلة من الافراد تستقبل الرسالة نفسها يعني ان هذه الكتلة تشكل مجموعا متجانسا) ، لكن هذا لا يسمح باستنتاج تنميط استقبال هذه الرسالة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، من الخطأ التفكير بان الاوساط الشعبية قد تكون الاقل مناعة ازاء وسائل الاعلام اذ بينت بعض الدراسات السوسيولوجية ان تأثير الاتصال الاعلامي يكون اكثر عمقا وأثرا لدى الطبقات الوسطى منه لدى الطبقات الشعبية (جاندرو ، 1988 ، ص 41) .

وهناك بعض علماء الاجتماع شددوا على صيغة " انتاج " تلك الثقافة التي تخضع الى " انظمة الانتاج الصناعي " مع الادخال الحاسم الى حد كبير لمعايير المردود و كل ما يتعلق بالإنتاج الثقافي واصبح الانتاج يتجه للحلول محل " الابداع " . ومع ذلك فان هناك من وضعوا تحليلاتهم لمسالة " استهلاك الثقافة " التي تنتجها وسائل الاتصال الجماهيري ، التي خلصت الى شكل معين من " التنميط الثقافي " ، الذي هو قد يكون ايضا نتيجة لتعميم وسائل الاتصال الجماهيري في هذا المنظور الذي يفترض بوسائل الاتصال ان تسبب " اغترابا ثقافيا " ومحق اية قدرة ابداعية لدى الفرد الذي لا يملك الوسائل التي تجنبه الوقوع تحت وطأة الرسالة المنقولة ، وقد يشكل هذا صراعا ثقافيا او تراتبا طبقيا بأوجه متعددة " سياسية ، او طبقية ، دينية ، او عرقية " وبالتالي تحدث تناقضات ثقافية من داخل المجتمع (عماد ، 2006 ، ص 202) .

ويتفق ايضا بعض علماء الانثروبولوجيا في الثقافة الجماهيرية " ان قابلية استقبال الرسالة الاعلامية تكون شديدة الانتخابية لدى الطبقات الشعبية " ، وترتبط هذه القابلية بما يسميه " الانتباه المنحرف " الناجم عن موقف عام ينم عن " الحذر والشك " بكل ما لا يصدر عن الوسط الشعبي الذي ننتمي اليه ، وبالتالي فان دراسة الاتصال الجماهيري لا يمكنها الاكتفاء بتحليل الخطابات والصور المبثوثة ، ولكن عليها ان تضاعف اهتمامها بما يفعل المستهلكون بما يستهلكون بتلك الخطابات والصور ويعيدون تأويلها من اجل منطقهم الثقافي الخاص بهم ، وهناك وفي هذا الوسط الاجتماعي او ذاك ومهما كان منتوج البث عاما فان استقباله لا يمكن ان يكون منمطا ، لأنه يرتبط بالخصوصيات الثقافية بكل مجموعة وبالحالة التي تعيشها المجموعة في لحظة الاستقبال (جولدنر ، 2004 ، ص ص 44 – 45) .

اما الثقافة الشعبية : فقد عانى مفهوم " الثقافة الشعبية " في بداياته من بعض الغموض نظرا لتعدد معانيه . ف المؤلفون الذين يلجؤون الى هذه المفهوم لا يعطون كلهم التعريف نفسه لكلمتي "ثقافة " او "شعبية" مما جعل النقاش بينهم امرا صعبا. ان تناول البعض عن ثقافات الجماعات الخاضعة ، هو حتما تعرض للنقاش الدائر حول مفهوم " الثقافة الشعبية " في فرنسا ، وقد تأخر تدخل العلوم الاجتماعية نسبيا عن الدخول في هذا النقاش الذي اطلقه في البداية ، أي في القرن التاسع عشر، المحللون الادبيون لأنه كان آنذاك محصورا في النظر الى الادب المسمى بالشعبي المتجول" فيما بعد وسع دارسو الفلكلور منظور البحث وانصب اهتمامهم على التقاليد الفلاحية. ولم يتطرق الانثروبولوجيون وعلماء الاجتماع لدراسة هذا المجال الا منذ فترات قريبة. اذ ترى العلوم الاجتماعية انه ينبغي الحيطة والحذر من تجنب شيئين اساسيين هما (دونبار ، 2005 ، ص ص 15 – 19) :

الاولى : " التبسيطية " ، والتي لا تعترف بأن الثقافة الشعبية تنطوي على " ديناميكية او قدرة ابداعية " خاصة بها ، وهي ايضا لا ترى فيها سوى " مشتقات " من الثقافة المهيمنة الوحيدة التي يمكن الاعتراف بشرعيتها ، كما انها ليست سوى تعبير عن " الاغتراب الاجتماعي " الذي تعانيه الطبقات الشعبية التي تفتقر الى أي نوع من انواع الاستقلال الذاتي .

اما الثانية : فأنها ترى في الثقافات الشعبية " ثقافات ينبغي اعتبارها ثقافات مساوية لثقافات النخب " ان لم تكن ارفع منها . ويرى القائلون بها ان " الثقافات الشعبية هي ثقافات اصيلة " وانها ثقافات مستقلة تماما ولا تدين باي شيء لثقافة الطبقات المهيمنة . والاغلبية يقولون بعدم اقامة أي تراتبية بين الثقافتين الشعبية و " المتعلمة " وبعضهم لا يتوقف عند هذا الحد فيذهبون في جنوح ايديولوجي شعبوي الى التأكيد " ان الثقافة الشعبية قد تكون ارفع شأنا من ثقافة النخب " ، لان حيوتها تكمن في القدرة الابداعية لـــ(الشعب)"وهي قدرة تفوق قدرة النخب الابداعية .ويتضح في هذه الحالة ، اننا نصبح اقرب الى الصورة الاسطورية للثقافة الشعبية منا الى الدراسة الدقيقة للواقع.

ويشير بعض علماء اللانثروبولوجيا والاجتماع معا الذين يأخذون هذه الظروف بعين الاعتبار ، الى كل ما تدين به الثقافة الشعبية للهيمنة الثقافية ، فالتابعون يردون على الفرض الثقافي عبر السخرية والتحريض الاداري بـ" فساد الذوق " ان الفلكلور ، لا سيما العمالي او فلكلور "الجندي البسيط "يوضح الكثير من اشكال التحول او اللعب التهكمي ازاء التلقين الثقافي (ادواردز ، 2008 ، ص 204) . فالثقافة الشعبية بهذا المعنى ، هي " ثقافة احتجاجية " ان وجود هذا المظفر في الثقافة الشعبية لا يعني بالتأكيد انه كاف لتعريفها على هذا البعد التفاعلي فأننا نخشى الوقوع ، مرة اخرى في الاطروحة " التبسيطية " التي تنكر على الثقافة الشعبية اية قدرة ابداعية مستقلة (هاريزون ، 2009 ، 118) . وكما يشير بعض علماء الاجتماع الثقافي " ان " الثقافة الشعبية " ليست معبأة باستمرار لكي تكون في موقع الدفاع المقاتل بل انها تعمل في حالة الهدوء ايضا " . ومن جانب اخر، فأن قيم موقف المقاومة الثقافية وممارسته لا تكفي لتأسيس استقلالية ثقافية كافية لكي تنبثق ثقافة اصيلة ، بل تضطلع رغما عنها ، بوصفها دامجة نظرا لسهولة استعادتها من قبل المجموعة المسيطرة " المهيمنة " (ليبس ، 2006 ، ص 592) .

ان الاصرار على ان " الثقافات الشعبية " تدين ثقافات لمجموعات خاضعة ، يعني المبالغة في التقليل من شأن استقراءها الذاتي . هذه الثقافات غير المتجانسة ، في بعض اوجهها تتسم بتبعيتها للثقافات المسيطرة " المهيمنة " ، وفي اوجه اخرى تكون، عل العكس اكثر استقلالية من الجماعات الشعبية ليست في مواجهة دائمة وفي كل مكان مع المجموعة المهيمنة في الاماكن وفي الاوقات التي يختلى فيها المرء الى نفسه "فان نسيان الهيمنة هو الذي يمكن " الطبقات الشعبية " من القيام بنشاطات ثقافية مستقلة . اذ ان الاماكن والاوقات الناجمة عن المواجهة غير المتكافئة متعددة ومتنوعة مثل : عطلة يوم السبت او الاحد في بعض المجتمعات ، المسكن الذي يرتبه صاحبه على طريقته ، وهي اماكن واوقات الالفة الاجتماعية بين افراد متماثلين " المقاهي والالعاب . . . الخ " (جورنه ، 2014 ، ص ص 353 – 354) .

الخاتمة :

ان التنوع الثقافي والاجتماعي الذي هو نتاج التراتب الثقافي والتدرج الطبقي ، انما هي مصطلحات ومفاهيم تشير الى انقسام الناس الى تراتبات ثقافية واجتماعية وتدرجات طبقية داخل المجتمع الواحد ، وهذه التراتبات والتدرجات ، ما هي الا نتيجة للطبقات الاقتصادية والاجتماعية ، علما ان مفهوم الطبقة اسسته ونشأ واصبح على اهمية كبيرة في المجتمعات الصناعية ، واليوم ظهرت في كل المجتمعات منها البلدان النامية لاسيما البلدان العربية ، بفعل السياسات الحاكمة التي اصبحت هي المسيطرة او المهيمنة ، والناس مسطر عليهم او الخانعين ، بحيث اصبحت الطبقة السياسية في البلدان العربية هي المتحكمة ، مما شكل طبقات او فئات لها ثقافات معينة تنفرد كل منهما ، على الرغم من تنوع مكونات هذه المجتمعات ، علما ان التراتبات الثقافية الناشئة عن التدرج الطبقي المفروض هو تنسيق نتج لأسباب قد

تكون جغرافية او اسباب معنوية لجماعات بشرية في أطر وهيئات معينة تحت مراعاة المنفعة والمصلحة العامة ، مع الاخذ بنظر الاعتبار قدرات افراد الجماعة البشرية بحيث يندمج الجميع في بناء اجتماعي يكفل تفعيل كافة طبقات المجتمع ونفع اكثر افراد المجتمع وعلى كل المستويات .

فضلا عن ذلك في تحديد طبقات المجتمع ، فأن العامل المشترك هو مدى التنوع القافي ، بمعنى آخر النظر الى مفهوم القافة من زوايا متعددة في التراتب الثقافي لأي مجتمع ، فقد قام الباحثين الى اعادة نظر موضوعية في مفهوم الثقافة (او الثقافة التابعة) الطبقية من خلال الانطلاق من الان فصاعدا من تحقيقات ميدانية تجريبية وليس من خلال الاختزالات الفلسفية كما في بعض التقاليد الماركسية . لقد بينت عدة دراسات ان منظومات القيم ونماذج السلوك ومبادئ التربية تتنوع بشكل ملموس من طبقة لأخرى ، والتنوع الثقافي يمكن ملاحظته حتى في الممارسات اليومية العادية جدا . و لا شك في اننا ندين " لماكس فيبر " في اول محاولة لربط الوقائع بالطبقات الاجتماعية . ففي دراسته الاشهر: " الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " ، التي نشرت جهد لبرهة على انها التصرفات الاقتصادية لطبقة المقاولين الرأسماليين لا يمكن فهمها الا اذ فهمنا مفهومها للعالم ومنظومة قيمها. هذه الطبقة في الغرب اولا ليس من باب المصادفة لأنها السبب في انبثاقها وهي سلسة من التغيرات الثقافية التي ارتبطت بنشأة المذهب البروتستانتي .

المصادر

1. بدوي ، احمد زكي ، معجم ومصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1982 ،
2. النوره جي ، احمد خورشيد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 .
3. معتوق ، فردريك ، معجم العلوم الاجتماعية ، بيروت 2001 .
4. ميشيل ، دنكن ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة : د. احسان محمد الحسن ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980 .
5. الخالدي ، نبيل عمران ، الطبقة الوسطى في العراق ، دار نيبور للنشر ، بغداد ، 2015 .
6. الجوهري ، محمد محمود ، علم اجتماع التنمية ، دار المسرة للنشر ، القاهرة ، 2010 .
7. الحسن ، احسان محمد ، وفوزية العطية ، الطبقية الاجتماعية ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، 1983 ،
8. بياربونت ، ميشال ، معجم الانتولوجيا والانتروبولوجيا ، دار مجد للنشر ، بيروت ، 2006 .
9. دوفرجيه ، موريس ، علم اجتماع السياسة ، ترجمة : د. سليم حداد ، المؤسسة الجامعية للنشر ، القاهرة ، بدون سنة طبع ة
10. بينتو ، لويس ، نظرية العالم الاجتماعي عند بيار بورديو ، ترجمة : محمد امطوش ، عالك الكتب للنشر ، 2014 .
11. توشار ، جان ، وآخرون ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة : علي مقلد ، الدار العالمية للنشر ، بيروت ، 1963 .
12. الاسود ، صادق ، علم الاجتماع السياسي ، دار الحكمة للنشر ، بغداد ، 1990 .

13. راينو ، فيليب ، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث ، ترجمة : فيليب رانيو ،دار كلمة للنشر ، الامارات ، 2009 .
14. ابراهيم ، الزهرة ، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية ، دار النايا للنشر ، دمشق ، 2009 .
15. البدو ، خليل عبد الهادي ، علم الاجتماع السكاني ، دار الحامد للنشر ، الاردن ، 2008 .
16. جاندرو ، شوميليه ، مدخل الى علم الاجتماع السياسي ، ترجمة : د. اسماعيل الغزال ، المؤسسة الجامعية للنشر ، 1988 .
17. عماد ، عبد الغني ، سوسيولوجيا الثقافة ، مركز دراسات الوحة العربية ، بيروت 2006 .
18. كولدنر ، الفن ، الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي ، ترجمة : علي ليلة ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 .
19. دونبار ، روبين ، وآخرون ، تطور الثقافة ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2005 .
20. هاريزون ، لورانس أ ، وآخرون ، الثقافات وقيم التقدم ، ترجمة : خليل شوقي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 .
21. ليبس ، يوليوس ، اصل الاشياء " بداية الثقافة الانسانية " دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2006 .
22. جورنه ، نيكولا ، بين الكوني والخصوصي " طبيعة الثقافة " دار الفرقد للنشر ، دمشق ، 2014 .

Sources:

1. Badawi, Ahmed Zaki, A Dictionary and Terminology of Social Sciences, Library of Lebanon, Beirut, 1982,
2. Al-Noura Ji, Ahmed Khurshid, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1990.
3. Maatouk, Frederick, Dictionary of Social Sciences, Beirut 2001.
4. Michael, Duncan, A Dictionary of Sociology, translated by: Dr. Ihsan Muhammad Al-Hassan, Dar Al-Rasheed Publishing, Baghdad, 1980.
5. Al-Khalidi, Nabil Omran, The Middle Class in Iraq, Nippur Publishing House, Baghdad, 2015.
6. El-Gohary, Mohamed Mahmoud, The Sociology of Development, Dar Al-Masra Publishing, Cairo, 2010.
7. Al-Hassan, Ihsan Muhammad, and Fawzia Al-Attiyah, Social Classification, University Press, Baghdad, 1983,
8. Pierpont, Michel, Dictionary of Ontology and Anthropology, Majd Publishing House, Beirut, 2006.
9. .Duverger, Morris, Sociology of Politics, translated by: Dr. Salim Haddad, University Publishing Corporation, Cairo, without year of publication
10. Pinto, Lewis, The Social World Theory of Pierre Bourdieu, translated by: Mohamed Amtoush, Aalk Al-Kutub for Publishing, 2014.
11. Tochard, Jean, and others, The History of Political Thought, translated by: Ali Makled, International Publishing House, Beirut, 1963.
12. Al-Aswad Al-Aswad, Sadiq, Political Sociology, Dar Al-Hikma Publishing, Baghdad, 1990. 12
13. Raynaud, Philip, Max Weber and the Paradoxes of the Modern Mind, translated by: Philip Ragno, Kalima Publishing House, UAE, 2009.

14. Ibrahim, Al-Zahra, Anthropology and Cultural Anthropology, Dar Al-Naya Publishing, Damascus, 2009.
15. Al-Bedouin, Khalil Abdel-Hadi, Population Sociology, Dar Al-Hamid Publishing, Jordan, 2008.
16. Jandro, Chaumele, Introduction to Political Sociology, translated by: Dr. Ismail Al-Ghazal, University Publishing Corporation, 1988.
17. Emad, Abdel Ghani, Sociology of Culture, Center for Arab Painting Studies, Beirut 2006.
18. Coldner, Art, The Coming Crisis of Western Sociology, translated by: Ali Laila, The Supreme Council of Culture, Cairo, 2004.
19. The Development of Culture, The Supreme Council of Culture, Cairo, 2005.
20. 20 .Harrison, Lawrence A, and others, Cultures and the Values of Progress, translated by: Khalil Shawky, The National Center for Translation, Cairo, 2009.
21. Lips, Julius, The Origin of Things, "The Beginning of Human Culture," Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Damascus, 2006.
22. Jurneh, Nicolas, between the universal and the particular, "The Nature of Culture," Dar Al-Farqad Publishing, Damascus, 2014.